على طريق الأصالة

(٣٨)

عالمية الدعوة الإسلامية

أنور الجندي

عالمية الدعوة الإسلامية

(أولا)

الإسلام فى عصر القرآن

كتب العلامة محمد فريد وجدى كتابة (الإسلام فى عصر العلم) فى أبان إرتفاع موجة استعلاء نظريات العلم المادى ودخول نظرية داروين الى بلاد الإسلام عن طريق ترجمة الدكتور شبلى شميل لها عن طريق أشد غلاتها وهو (بختر) الذى كان يطمع فى أن تسيطر هذه النظرية على المجتمعات الإسلامية فيتخذونها نظاما عاما ومنهما فى مختلف شئون الحياة والفكر معتقداً أنهم بذلك يخرجون من الجمود إلى التقدم ، وقد تصدى له هذا الكاتب المسلم ففند آرائه وكذب أحلامه وكان السيد جمال الدين الأفغانى قد هاجم المذهب المادى قبل ذلك بكتابه (الرد على الدهريين) .

وقد مضت منذ ذلك الوقت أكثر من سبعين عاما تكشف فيها أمرين خطيرين .

أولا : أن النظرية المادية لا تستطيع أن تكون دينا أو تحل بدلا من أى دين لأنها تفقد العناصر الحقيقية للعطاء الذى يتطلع إليه

الإنسان الذى خلقه الله تبارك وتعالى من قبضة الطين ونفخة الروح، فاستوى بشرا سويا لايصلح أمره الا منهج ربانى متكامل ومن هنا سرعان ما سقطت نظرية سيطرة العلم على الإنسان .

ثانياً : ان نظرية العلم التى استعلى بها وحاول ان يعلن قدرته على استكناه كل شىء قد سقطت أيضا واقر أساطينه بأنه يقف عند ظواهر الأشياء لا يستطيع ان يتعداها وان النظريات التى حاولت أن تدعى خلود المادة أو ازليتها قد سقطت كما سقطت كل الدعاوى التى تجعل المادة شيئاً منفصلا عن الطاقة .

ثالثاً: ان نظرية داروين بالذات قد ثبت فشلها وتبين أن داروين وصل إلى نقطة لم يستطع أن يتجاوزها وهى الحلقة المفقودة، وان دعواه فى العلاقة بين الإنسان والقرد لم تثبت وكشفت الحفريات عن عظام الإنسان منذ مليون وستمائة ألف سنة حقيقة تسد الحلقة المفقودة وثبت ان الإنسان ينتمى إلى فصيلة أخرى عن فصيلة القرد وان أهم مايميزه ان شكل الجمجمه والأسنان وعظام الساق تشير إشارة واضحه إلى شكله وكيفية سيره لأن زاوية أرتباط العمود الفقرى بقاع الجمجمه تؤكد أنه كان قادراً على المشى مثلنا تماما ولم تكن له صفات الوحش المفترس وقد نشر هذه الحقائق العالم ليكى (مدير المتحف الوطنى فى كينيا) الذى أستمر فى أعماله الحفريه لمدة تقارب ثمانية وعشرين عاما قبل أن يصل إلى

أكتشافه الهام عام ١٩٥٩ وقد فسر ليكى الاكتشاف بأنه فرع جديد من شجرة التطور الإنسانى تختلف تماما عن شجرة دارون وقد أستمر فى أبحاثه حتى أصبح شوكة فى جنب علماء الانثرو بولوجيا، كذلك فقد أذاع البرفسور جوهانس هودير العالم الأثرى فى سينغال بسويسرا بيانا عام ١٩٥٩ عارض فيه نظرية دارون بشده وقال أنه لايوجد دليل واحد من ألف على ان الإنسان من سلالات القرود وان التجارب الوارده التى أجراها دلت على الإنسان منذ عشره ملايين سنة يعيش منفرداً أو بعيداً جدا .

وكذلك أعلن الدكتور دونير (جامعة كولومبيا) والبرفسور هوردلر ١٩٥٦ ان نظرية دارون لا أساس لها وأن الكائنات أى خلقت مستقله الأنواع أستقلالا تاما فنها الإنسان الذى يمشى على رجليه ومنها الدواب التى تمشى على أربع ومنها الزواحف التى تمشى على بطنها . وصدق الله العظيم : « ومنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجليه ومنهم من يمشى على أربع ، يخلق الله ما يشاء »

وهكذا تبين أن العلم قد تضاءل وأحنى رأسه أمام القرآن ، ذلك لأن العلم نفسه . هذا العلم التجريبى هو من عطاء القرآن ، فلم تكن هناك إلا نظرية التأمل الاغريقية وأفكار أرسطو عن ثبات الكون ولم يكن هناك إلا رهبانيه المسيحيه ، حتى جاء الإسلام فقدم

للبشرية أصول العلم ، النظر والاعتبار والبرهان

« قل أنظروا ماذا فى السموات والأرض »

— (النظر والاعتبار)

« قل هاتوا برهانكم » — (البرهان)

فكان النظر والاعتبار والبرهان مصدر المنهج العلمى التجريبى الذى حمل لوائه المسلمون وراجعوا به كل تراث العلم القديم فكشفوا أخطاء جالينوس وأرسطو وغيرهم وأقاموا منهج التجريب لأول مرة فى تاريخ العالم ، هـــذا المنهج الذى طورته جامعات المسلمين فى الأندلس (قرطبه وبلنسيه وأشبيليه) ثم أخذه الغرب وادعى علمائه أنه من عطائهم ، وأقاموا (مؤامرة الصمت) حول عطاء المسلمين حتى كشفته الأحداث .

فالإسلام فى الحقيقة هو الذى أقام المنهج العلمى (١) التجريبى (٢) منهج المعرفة ذى الجناحين (المادى والروحى) هذا المنهج الذى أقامه علماء الحديث وطوره علماء التاريخ والفكر والاجتماع والذى وصل قمته بمعرفة ابن خلدون التى رسمت للبشرية منهج كتابة التاريخ ومنهج علم الاجتماع .

كل هذا من عطاء الإسلام للبشرية مستمدا من القرآن الكريم

ولقد حاول الكثيرون التشكيك فى نظريات ابن خلدون وأدعوا أنه عرف فكراً يونانياً أو رومانيا ولكن جميع الدلائل أثبتت ان أبن خلدون هو أبن الأسس التى رسمها القرآن لقيام الأمم والحضارات وسقوطها : هذه الأسس التى تطورت من خلال علماء مسلمين كثيرين حتى أستوت على النحو الذى قدمه (أبن خلدون)

وأينما توجه نظرك فى مجالات الاجتماع والسياسة والاقتصاد والتربية تجد الأصول الاسلامية هى الأساس فما كان لدى الغرب عند ظهور الاسلام أو عند العالم كله شىء سوى شذرات من الفكر الوثنى والأساطير ، بعد أن أنفصلت الأمم عن كتب السماء وعارضتها ، وأعلت من شأن الفكر الاغريقى الذى كان يسمى (علم الاصنام) أو علم الفكر الغنوصى الشرقى الذى شكلته المجوسيه والباطنيه وفكر الهندوكية والفرعونيه والبوذيه وكان ميراث التثليث القديم مسيطراً عليها أو ميراث الثنائيه (النور والظلمه) أو مفاهيم أخناتون فى عبادة إله الشمس بديلا من مجموعة الإلهة حتى إطلق عليه (التوحيد) تضليلا، حتى جاء الإسلام فصحح له كل هذه الأدلة المبطلة والوثنيات وعبادة الأجساد لأنه حرر النفس الإنسانية من الوثنية وحرر الإنسان نفسه من عبودية الحضارات والأباطره حين كان يقول أرسطو وأفلاطون أن الرق شرع مقدس وأنه أساس لكل الحضارات وان الرقيق لا تمكن ان يرقى إلى مكان الساده الجالسين فى القمة حتى ولو وصل إلى ذلك .

ولذلك فنحن حين نقول ان القرآن هو الذى أنشأ العلم ، وان العلم الذى يعيش فيه العالم الآن مدين له وحده ، بهذا العطاء الضخم ، الذى أدخل البشرية فى عصر التحولات الخطيرة والتكنولوجيا ، وأن الغرب حين أخذ منهج التجريب أخذ معه مفهوم الحضارة الإسلامية الرحمه والعدل والاخاء البشرى) لما وقعت البشرية فى أزماتها التى تعتصرها الآن وتذيقها ألوان الاحتقار – والتمزق ، ذلك أن خطيئة الغرب أنه أخذ العلم التجريبى وفصله عن المنهج الإنسانى الذى شكله القرآن فتحول سريعاً إلى مادية عسيرة شاقه ، هى شعار النفس الإنسانية المشكله من المادة والروح ولذلك فأن هذه الحضارة قد قد جهلت المصدر الاول وأنكرته وتعالت عليه ، ونسيت الخالق الصانع ، وأطلقت اسم (الطبيعة) عليه وهو فى الحقيقة صانع الطبيعة ومنشئها من العدم ، لقد يفقدت الحضارة الغربية اليوم . ذلك البعد الربانى الذى وصفت نفسدا فى موضع الحضارات السابقة الخارجة عن منهج الله والتى توعدها الله تبارك وتعالى بالتدمير .

(وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديداً وعذبناها عذاباً نكراً فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسراً) سورة الطلاق

ثانياً . مرحلة جديده

دخلت الدعوة الاسلامية فى نهاية العقد الاول من القرن الخامس عشر مرحله جديده قوامها تصحيح المسيرة وتحريرها من العقبات والمعوقات والاشواك التى تعرض طريقها سواء من ناحية الجحود الذى أصابها فى المرحلة السابقة أو من جراء محاولات التشويه والتزييف الى قامت بها قوى الاستشراق والتبشير على مدى أكثر من قرن من الزمان فى سبيل خدمة النفوذ الأجنبى وثبتت قبضته وأحكامها فى احتواء عالم الاسلام عن طريق اخضاعه واحتوائه فى دائرة الفكر البشرى والعالمى والامى وعدم تمكينه من تحقيق انطلاقته الحقيقية السمحاء، وقد تزايدت هذه المحاولة فى خلال المرحلة الجديدة التى وصفت بالصحوة الإسلامية .

وتجرى حركة تصحيح مسيرة الدعوة الاسلامية فى عده قنوات متصلة متكاملة .

القناة الأولى : تصحيح مفهوم الاسلام بوصفه منهجا جامعا يضم العقيدة والنظام ويقدم منظومة كاملة لمختلف جوانب الاجتماع والسياسة والاقتصاد .

القناة الثانية : تصحيح مفهوم الإسلام بوصفه دينا عالميا خاتما جاء ختاما للرسالات السماوية وللبشرية كافة منذ ظهوره بالنبوة الخاتمة لمحمد ﷺ وكتابه (القرآن) .

القناة الثالثة : تصحيح إسلام المسلمين الجدد الداخلين فيه فى عالم الغرب وحمايتهم من خطر الاحتواء حول مذاهب باطنية أو فلسفية صوفية أو غيرها مما لايتحقق معه ابلاغهم رسالة التوحيد الخالص .

القناة الرابعة : تصحيح مفهوم علاقة الإسلام بالاديان المنزلة من حيث انها جميعها جاءت تدعو إلى عبادة الله تبارك وتعالى والإيمان به وإخراج الناس من دائرة الوثنية والشرك والتعدد ، وقد ظلت هذه الأديان مرتبطة ببيئاتها واممها ، حتى إذا بلغت البشرية رشدها جاء الإسلام مصدقا لما بين يديه للناس كافة وإلى ان تقوم الساعة وجاء القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتب ومهيمنا عليها وقد قامت الحضارة الاسلامية من عصارة تراث رسالات السماء كلها التى انصهرت فى بوتقة شاركت فيها جميع العناصر داعية إلى اصلاح النفس البشرية وإهدائها إلى الخير والرحمة والعدل والاخاء البشرى .

ولا ريب أن هذا المفهوم فساد دعاوى البهائية والقاديانيه ومقولة مدعى النبوة فقد قدم الإسلام يؤكد كل الدلائل العلمية والإنسانية الدافعة تأكيد (عموم الرسالة وختم النبوة) حيث لم يستطع أى متنبيء خلال أربعة عشر قرنا أن يقيم هذه الدعوى المدعاة .

ولقد كان ركين اليقظة الإسلامية واضحا على شجب هذا التيار القائم على التأويل الباطني للقرآن لتسريب مفاهيم الفرق الضالة في محاولة الاحتيال على بعض الظنون لخداع الطلائع التى لم يتيسر لها الالمام بأصول الإسلام ، وكذلك شجب مفاهيم وحده الوجود والحلول والاتحاد والتناسخ ومذهب النرفانا والروحية الحديثة ، والحذر مما أوردته كتابات بعض دعاة الباطنية والقرامطة وما تضمنته رسائل إخوان الصفا وما أورده ابن المقفع فى مقدمة كتاب كليله ودمنه وكذلك إنكار ما يتعلق بنظرية الفيض والعقول العشرة والتجسيد وذلك ليظل مفهوم الإسلام الجامع قائماً ويظل مفهوم الغيب والنبوة والبعث والجزاء الاخروى اساساً لفهم الاسلام .

* * *

ولا ريب ان ما توصل إليه علماء غربيون منصفون من قدرة

الاسلام على العطاء وحل مشاكل العصر بعد ان تعقدت أمور الأيدلوجيات وتطلعت النفوس المحبه للخير إلى الاسلام كنقذ ، كل هذا يجب ان يكون موضع تقدير ، ففى كتاب عنوانه (من دين لآخر) اعتناق الاسلام فى الغرب (صدر بالفرنسية ليزبات روثنى) يقول :

ما برح الاسلام يلاقى صدى طيبا فى نفوس الغربيين فيدخلون فيه عن طواعيه بعد ما أفلست كل النظريات فى اسعادهم ولم تعد أديانهم قادرة على أطفاء ظمأهم الروحى) .

ويقول ايفادى فتراى (القرآن هو آخر وحى ومحمد هو خاتم الرسل والقيمة المتجمعه للاسلام تجعل الفرد مرتبطا بمجموعة عالمية، والاسلام يجبر على الاعتراف بكل الملل وبكل الرسل السابقين ، لأن العقل الاوربى لايرفض الاسلام إذا عرف حقيقته وإذا أتيحت له فرصة النظر دون أن تكرهه قوى أخرى على التعصب لفكره القديم.

ويقول دكتور عبد الكريم دانتون : بهرتنى المودة فى العالم الاسلامى ، كانوا يقدمون العون دون مقابل ، رائدهم القناعة ورضاء النفس ، بينما كنت انفر من نمط الحضارة الغربية لما فيها من مادية الجفاف الروحانى والفراغ العقلى .

وجدت فى الاسلام رسالة واقعية تعترف بغرائز الانسان ولكنها تسمو بها، فهو الدين الاكثر أرتباطا بالواقع وأعمق تأثيرا فى نفوس الناس. وجدت فى « الاسلام ما كنت أبحث عنه وأى مشكلة يواجهها الانسان يجد حلها فى القرآن الكريم والعالم الغربى يدرك اليوم ان الاسلام هو الذى يحل جميع مشاكل البشر » .

هذا الذى يقوله بعض المثقفين الغربيون الذين عرفوا طريق الاسلام وتلك ظاهرة شديدة الأهمية فان الذين يدخلون الاسلام من الغرب اليوم ليسوا من عامة الناس ولكن من خاصتهم فهم على حظ كبير من الثقافة ومنهم مفكرون وعلماء وفلاسفة .

ومن هنا فان هناك ضرورة ملحة للمحافظة على المسلمين الجدد وحمايتهم من خطر الاذابة فى المحيط الغربى أو أن تتلقفهم قوى تدعى الاسلام الجامع الصحيح .

* * *

ان فهم حقيقة الاسلام وجوهره هو الركيزة الحقيقية لهذه المرحلة الجديدة من عالمية الاسلام التى يتسع نطاقها فى قارات أوروبا وأمريكا واستراليا، لقد جاء الاسلام ليصحح كثيرا من أخطاء الفكر البشرى الوثنى والمادى ، وأهمها الصلة المباشرة بين الله تبارك وتعالى

وبين الإنسان بدون وسيط والارتفاع على التجسيد والتجسيم ورفض الفلسفات التى نشأت فى ظلها فكرة التعدد ، كما كشف الإسلام فساد المواريث القديمة للباطنية والمجوسية وعبادة الفرعون والقيصر وجدد تراث النبوة وكشف زيف تراث طفولة البشرية ، كذلك فقد رفض الاسلام نزعة اليأس والتشاؤم وقد أعلن مسئولية كل إنسان عن عمله وابرز عطاء الاسلام فى هذا العصر سكينة النفس وطمأنينة القلب والتخلص من أزمات الفكر التى تؤدى بصاحبها إلى القنوط وهى التى يحلها الايمان بالله تبارك وتعالى خالقا ورازقا (اياك نعبد واياك نستعين) .

ولقد تبين ان اعظم ما جذبهم إلى الاسلام هو روح العدل والمساواة التى يدعو إليها القرآن الكريم والنظافة التى يتحدث عنها الرسول : الطهارة نظافة اليد والقلب واللسان واقد أذهلهم تواضع النبى محمد ﷺ وكرم خلقه وسماحته مع أعدائه ورحمته وتطلعه الى ان يخاف هؤلاء المتعنتين من يؤمن بالله .

هذه المعانى التى هزت وجدان الغربى هزا شديدا لأنه لايجدها فى واقع الحياة المعاصرة وهى صورة من عالم مضىء يستعلى على الاحقاد والخصومات والمساواة ويتطلع إلى أنوار السماء ومن أجل هذا يتوقع المراقبون للصحوة الاسلامية انطلاقا واسعا حتى تتحقق عالميه

الإسلام بعد أن نقل المجتمع الإسلامى إلى داخل عشرات من دول الغرب وبقى ظاهرة طبيعية متجددة .

* * *

ولقد كشف علماء الغرب وقادته عن نواقص الحضارة الغربية المعاصرة واضطرابها وخروجها عن الجادة ، وما يصيبها اليوم من من عطب من حيث عجز منهجها السياسى والاقتصادى والاجتماعى عن اعطاء الإنسان اشواقه ومطامحه الروحية مما يدعوه إلى التطلع إلى الإسلام كمنفذ للحضارة والمجتمعات ، ويأتى هذا فى الوقت الذى يتنامى فيه تعداد المسلمين متجاوزاً الألف مليون ، وحيث تقام مجتمعاته الآن فى قلب الغرب وتتفجر قضايا شرح الإسلام للغرب وتجاوز الصورة القديمة التى حملها الغرب للإسلام قرونا طويلة ، وحماية هذه المجموعات الجديدة من فقدان مقوم وجودهم الحقيقى ولعله من الخير أن توضع هذه الحقائق الثلاث بين أيدى الدارسين لهذه القضية :

أولا : جدد الإسلام تراث النبوة وكشف زيف تراث البشرية وقدم للانسان فى كل عصر وبيئة : روح الإيمان بالله تبارك وتعالى والثقة بقدرته والتحرر من اليأس والتشاؤم ومن التبعية للموروثات

وقيام الصلة المتحررة من كل وسيط بين الله تبارك وتعالى والإنسان. وهـــدم عبودية الفرد للفرد أو عبودية الفرد الوثنية فى صورها الحديثة ، وبذلك استطاع أن يقدم نفسه للبشرية فى هـذا العصر على أنه قادر على حل كل مشكلاتها ومعضلاتها .

ثانياً : كشفت الأبحاث العلمية واللاهوتية عدداً من الحقائق التى أكدت الأصول الثوابت التى قررها الإسلام منذ أربعة عشر قرنا فى شأن خلق الكون والإنسان والإعجاز العلمى مما أكد صدق النص القرآنى وسلامته على مدى العصور وقدرته على مظاهرة ماكشفت عنه الحفريات فى شأن تاريخ الامم والحضارات مما يعطى القرآن الكريم اليوم المكانة الأولى فى اعتماده كمصدر لحركة الجنس البشرى .

ثالثاً : قدرة الإسلام على استيعاب القضايا العالمية التى احدثت أزمات كبرى من جراء الفصل بين القيم كقضية الدين والعلم والانتماء الدينى والقومى والدنيا والآخرة والالتقاء بين العقل والوجدان ، والتلاق بين العصور والأجيال والمرأة والرجل والآباء والابناء على أساس مفهوم التكافل الذى رسمه الإسلام وقاعدة الثوابت والمتغيرات وبذلك أعطى المسلم القدرة على الاستجابة لمتغيرات العصور مع الاحتفاظ بالقيم الثوابت الأصيلة .

* * *

رقم الإيداع بدار الكتب ٤٥١٦ / ١٩٩٠

مطبعة دار البيان ١٠ حارة الكفاروه بعابدين
ت : ٢٩١١٢٣١٠ - القاهرة